التحركات البشرية على حدود مصر الفرعونية إلى نهاية العصر البرونزى الحديث : الدلائل على وجودها ودوافعها

دكتور

علاء الدين عبد المحسن شاهين

أستاذ الآثار المصرية المساعد

كلية الآثار - جامعة القاهرة

التحركات البشرية على حدود مصر الفرعونية إلى نهاية العصر البرونزى الحديث : الدلائل على وجودها ودوافعها

عكست المصادر النصيّة والأثرية من الحضارة المصرية القديمة تداخلات متعددة لها مع جيرانها على حدودها الشمالية - الشرقية الآسيوية ، والجنوبية النوبية بصفة رئيسية بدءًا من الألف الثالث ق.م. كما كان لها بالمثل بعض التداخلات على حدودها الغربية الليبية . ويتناول هذا البحث محاولة إلقاء الضوء على مصادر تلك العلاقات ، وأوجه النقد لها ، وطبيعة هذه العلاقات ودوافعها خلال ما يوازى مراحل العصور البرونزية المبكرة إلى الحديث ما بين الألف الثالث إلى نهاية الألف الثانى ق.م بغرض البحث عن إتجاه تلك التحركات البشرية الضاغطة على مصر ودوافعها والتغيّر الذى لحق بها .

وبنظرة نقدية إلى المصادر المرتبطة بتلك التحركات البشرية السلمية منها أو الحربية على الحدود المصرية نجد أن معظم معلوماتنا تستند بصفة رئيسة إلى ما ورد من وجهة النظر المصرية البحتة سواء ما حفظته المصادر النصية الملكية منها أو الخاصة فى ضوء عدم العثور - إلى الآن - على نصوص مدونّة بلغات محلية تعكس وجهة النظر الأخرى خاصة فى مناطق الجنوب من الحدود المصرية فى النوبة (السودان) وحتى منتصف الألف الأول ق.م حينما بدأت ملامح لغة محلية للمكان ترتبط بما يعرف إصطلاحًا باسم «الحضارة المروية» تظهر إلى الوجود وتعكس بعض الملامح السياسية والإدارية للمكان[1]. وينطبق نفس الشىء على محاولة فهمنا للعلاقات السلبية / الإيجابية للتحركات البشرية على الحدود المصرية الليبية خلال العصور التاريخية منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى

(١) دفع الله (سامية بشير) ، « التعريف بتاريخ السودان القديم » ، **مجلة الدراسات السودانية** ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، الخرطوم ، العدد ١ ، المجلد العاشر (ابريل ١٩٩٠) ، ص ٤٥ - ٥٠ ؛ ص ٥٨ .

نهايـة الألف الثانى ق.م ، وإسـتنادًا بصفـة رئيسية عـلى المصادر المصـرية فيما يـتعلّق بالمكان، وأسماء بعض مجموعاته البشرية التى حفظتها لنا النصوص المصرية : إمنت ، التحنو ، التمحو وحتى ليبو (ريبو) [١] .

ويختلف الوضع قليلاً فيما يتعلّق بفهم التحركات البشرية على حدود مصر الشمالية الشرقـية فى مناطـق فلسطـين ، الأردن ، لبنان وجنـوب سوريا وساحلـها على الـبحر المتوسط بدءًا من الألف الأول قبل الميلاد خلال ما يسمى بالعصر الحديدى حينما تعدّدت المصادر اللغوية المحلية : العبرية ، لغات حضارات الألف الأول ق.م فى المملكة الأردنية الهاشمية : العمونية ، المؤابية والادومية . ولعلّ ما كشفـت عـنه أخـيرًا أعمـال « باولـوماتيه » فـى تل مرديخ (ابـله) السوريـة ما يلـقى الضوء عـلى ملامح المـكان الحضارية، وفهما لشـعوبه خلال منتصف العصر البرونزى المبكـر إلى العصر البرونزى الوسيط فى دوره الثالث ، وإن عكست بصفة أساسية إرتباطا حضاريًا ولغويًا للمكان مع حضارة بلاد الرافدين أكثر منه مع تلك من مصر الفرعونية [٢] .

ولم تقدّم لنا مناطق شبه الجزيرة العربية خاصة إلى الساحل الشرقى للبحر الأحمر: شمال غرب الحجاز واليمن دلائل أثرية أو نصيّة على إرتباطات حضارية مع وادى النيل خلال الألف الثـالث وحتى منتـصف الألف الثانى قبـل الميلاد . ولم تعط لـنا المصادر النصيّة من حضارة مصر الفرعونية إشارات مؤكدة إلى ضغوط بشرية سلمية أو عسكرية، أو تبادل لمنافع إقـتصادية بين الجزيرة العربيـة ومصر الفرعونية آنذاك ربما لـعوامل التغيّر المناخـى الجاف بدءًا من الألف الـسادس قبل الميـلاد بالمكان ، ومـا نجم عنه من تـفريغ

(١) بازامة (مـحمد مصـطفى) ، **تاريخ ليبيا** ، الجـزء الأول : **فى عصور ما قـبل التاريخ** ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازى : ١٩٧٣، ص ٢١ .

(٢) كلوتشكوف ، « تل مـرديخ - إيبلا القديمة » **الجديد حول الشرق القديم** ، ترجمه عن الروسية د. جابر أبـى جابر ، دار التقدم بمـوسكو : ١٩٨٨ ، ص ١٥٧ ؛ باترسون (شـارل) ، « ألواح إبلا والهجمة الإستشراقية » ، ترجمة محمد فكرى أنور ، **مجلة الفيصل** ١٦٨ (١٩٩٠) ، ص ٢٤ ؛ Matthiae, P. " Two Princely Tombs at Tell Merdikh - Ebla ", **Archaeology** 33,2 (1980), p. 10; Astour, M. **Eblaitica : Essays on the Ebla Archives and Eblaite Language**. vol. 3. Edited by C. H. Gordon. Indiana: . 1992, P. 3.

بشرى لأهل شبه الجزيرة العربية إلى حواف الهلال الخصيب وإلى وادى النيل بصفة رئيسية ، وبعض حواف الساحل الغربى من الخليج العربى . (انظر شكل ١) .

ومن اللافت للنظر أيضًا أن المصادر النصية المصرية رافدنا الأساسى لفهم ومعرفة تلك التحركات البشرية المختلفة على حدود مصر الفرعونية إلى نهاية العصر البرونزى الحديث غلب عليها الصبغة الدعائية لملوك مصر القدامى من تفخيم وتمجيد لأعمالهم ، وإلى الطبيعة المقتضبة لتلك النصوص من الناحية التاريخية ، وإلى النظرة فى تلك النصوص إلى هذه المجموعات البشرية المحيطة بمصر باعتبارها مناوئة لها وكون أهلها «خاسئين» ، فيما عدا ما ورد لإرتباطات مصر التجارية السلمية مع منطقة بونت ، والتى تعدّدت الآراء فى تعيين موقعها الجغرافى ما بين اليمن والصومال ، أو الصومال - إرتيريا أو فى أقصى الشمال الشرقى للسودان فى نقطة تلاقى حدوده مع ارتيريا ، على ساحل البحر الأحمر فى تفسير حديث ، حيث غلبت نظرة المودة والاحترام ، والقدسية أحيانًا ، إلى المكان وأهله . ولم تعكس النصوص المصرية دلائل على أى تحركات بشرية ضاغطة على مصر من هذا المكان وأهله على الإطلاق خلال العصور التاريخية .

ويتساءل المرء عن دوافع تلك التحركات البشرية من المناطق باتجاه الحدود المصرية خلال الألف الثانى قبل الميلاد ، وعن تغيّر طبيعة الدوافع أثناءها . ويمكن القول بصفة أساسية أن العلاقات التى حكمت تلك التحركات البشرية السلبية منها أو الإيجابية تندرج تحت عاملين رئيسيين بغرض تحقيق أهداف إقتصادية Economy أو لأغراض أمنية Security وبصفة خاصة من جانب الحضارة المصرية .

ونلاحظ أن الدافعين الاقتصادى والأمنى غَلَب على تلك التحركات المصرية ضد الهجرات أو التحركات البشرية النوبية والآسيوية كذلك . ويطغى الدافع الأمنى بصفة رئيسيّة على تلك الإشارات إلى علاقات مصر الفرعونية مع جيرانها الغربيين فى ليبيا . وتنعدم الإشارات الدالة على مصادر لمواد خام كانت مرغوب فيها من مصر الفرعونية ، ودافعًا لها للاتجاه غربًا نحو ليبيا على العكس مما نعرفه من توافر لموارد الذهب بصفة رئيسية ، والنحاس والأخشاب والبشر كقوى عاملة أو لاستخدامها ضمن قوات الجيش المصرى وفى أعمال البوليس لحراسة الحدود على الجانب النوبى[1] . وقد بلغ ذروة هذا

(١) Shaheen, A. M. **Historical Significance of Selected scenes involving Western Asia and Nubians in the Private Theban** =

الدافع الأمنى على الحدود المصرية الليبية خلال العصر البرونزى الحديث / الدولة الحديثة ، وما تبعه من ضغوط بقايا الحضارة المينوية بعد إنهيارها بالاشتراك مع أهل المكان المحليين فى برقة ضد مصر آنذاك . وقد إرتبط بتغيّر نمط تلك الدوافع فى التحركات المصرية ولجيرانها أن أضطرت مصر أحيانًا إلى تمصير وضم بعض المناطق ، مثلما حدث فى النوبة ، أو بسط نظام إدارى وعسكرى صارم على المناطق الآسيوية ، وبالمثل ولكن لفترة وجيزة على سكان منطقة برقة الليبية خلال عصر الرعامسة وفقًا لما يقترحه « ديفيد أوكنر » حينما نُصّب عليها والى من قبل السلطة المصرية [١] .

وقد شهدت فترة العصر البرونزى المبكّر بأدواره الحضارية المتعدّدة الأول إلى نهاية الثالث حتى نهاية الدولة القديمة ، والرابع بأدواره الفرعية خلال ما يوازى عصر الإنتقال الأول من تاريخ مصر الفرعونية ضغوطًا بشرية متعددة على حدودها الجنوبية النوبية ، والشمالية الشرقية الآسيوية ، وعلى حدودها الغربية الليبية بالمثل .

وقد أوضحت لنا المصادر المصرية الملكية منها أو الشخصية لبعض كبار موظفى الدولة خلال العصر البرونزى المبكر إلى دوره الثالث إشارات متعدّدة إلى ضغوط واجهتها مصر على حدودها النوبية مثلما نعرف عن نشاط عسكرى مكثف من عهد « حور عحا » نجم عنه إنتصاره على أهل المكان بالنوبة وحتى الجندل الثانى على نهر النيل [٢] . وتعكس كذلك نصوص محفورة على واجهة جبل الشيخ سليمان جنوبى بوهن إنتصار الملك « جر » على أهل النوبة [٣] . (انظر خريطة ١) . ويرجّح أن حضارة المجموعة الأولى (A - group) تم القضاء عليها فى النوبة من خلال النشاط العسكرى المكثف إما من عهد الملك المصرى « خع سخموى » من الأسرة الثانية

= **Tombs of the XVIII th Dynasty**. Ph. D. Dissertation, University of Pennsylvania, Ann Arbor : 1988, pp. 67 - 103.

(١) O'Conner, D. **Expedition** 29,3 (1987), P. 32 - 35.

(٢) فخرى (أحمد) ، **مصر الفرعونية** ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة : ١٩٧١ ، ص ٧٨ ؛ Brovarsiki, E. " Hor - aha and The Nubians," **Serapis, The American Journal of Egyptology** 4 (1977 - 78) , pp. 1 - 2.

(٣) O'Conner, D. "Ancient Egypt and Black Africa, early Contacts," **Expedition** 14,1 (1971), pp. 2 - 9; بكر (محمد إبراهيم) ، **تاريخ السودان القديم** ، مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٨٤ ، ص ٣١ .

الفرعونيـة ، أو على يد « سنفرو » من الأسرة الرابـعة والتى تشير نصوصـه إلى جلبه لسبعة آلاف أسير من البشر ، ومائتى ألف رأس من الثيران والأغنام بالمكان [١] . ولعل ما تم الكشف عـنه بالمكان من وجود مصرى مـكثف خاصة فى منطـقة بوهن ، وما تم الكشف عنه من أسماء خعفرع ، منكاورع ، أوسركاف ، ساحورع ، وكاكاى ما يعكس أهمية المكان إقتصـاديًا لمصر ، وبإعتبار بوهن كمركز تجارى هام بـالمكان ، وربما كنقطة إنطلاق لمصر للتعامل التجارى المباشر مـع مناطق الإنتاج المرغوب فيها فى أواسط القارة الأفريقية [٢] .

وتشير التـفسيرات الحديثة لنصـوص الرحالة المصرى ، حاكم الفـنتين «حرخوف» أثناء بعثاته الاستكشافية فى أفريقـيا ، ووصوله إلى منطقة «يام» التى تراوحت الآراء فى تحديد موقعها فى منـطقة كرمة على الجندل الثالث لنهر النـيل ، أو فى بوتانا فى أعالى نهر النيل أو إلى أقصى الجنوب الغربى من السودان باتجاه أفريقيا الاستوائية إلى ما يمكن إستنباطه عن بدء تكوين سياسى بالنـوبة آنذاك كأول وأقدم محاولة لإنشاء دولة سياسية بالمكان ، سابقةً علـى تلك المحاولة من الأسرة الخامسة والعشرين الكـوشية فى منتصف الألف الأول ق.م.[٣] وفى ضوء ذلك نـفهم مضمون نـص عند الجندل الأول يتـضمن إشارة إلى حضور الملـك « مرن رع ، من الأسرة السادسة بذاته إلى المـكان ليتقبّل ولاء وطاعة رؤساء قبائل المجا وواوات القاطنة بالمناطق النوبية . وقد عادت سياسة مصر ثانية تحمل الطابع العسكـرى مثلما عكسته لنا نصوص « بيبى نخـت » عن قيامه بتأديب أهل «إرثت» النوبيين وإحضاره لأسرى بأعداد كبيرة منهم إلى القصر الملكى وكذلك إحضاره

---

(١) إمرى (والـتر) ، **مصر وبلاد النوبة** ، تعريب تحفـة حندوسة ومراجعة د. عبد المنـعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة : ١٩٧٠ ، ص ١٢٨ - ١٣١ ؛ توفيق (سيد) **معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية** ، دار النهضة الـعربية ، القاهرة : ١٩٨٧ ، ص ٩١ ؛ بكر ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) فخرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ ؛ إمرى ، المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٣ .

(٣) O'Conner, D. " Relation between the Sudan and Egypt 3000 - 715 B.C." Unpublished Paper, **University of Pennsylvania**, PP. 14 - 16; Kemp, P. " Old Kingdom, Middle Kingdom and Second Intermediate Period C. 2686 - 1552 BC," **Ancient Egypt : A Social History**, Cambridge University Press : 1983, pp. 129 - 30.

لحاكمى واوات وارثت إلى البلاط الملكى لتقديم فروض الولاء والطاعة للملك «ببى الثانى» [1].

وإستنادًا إلى ما سبق ، يبدو أن مصر واجهت تحركات بشرية على حدودها الجنوبية كانت دافعًا إلى جهد عسكرى مكثف من قبل خع سخموى وسنفرو أدّى إلى القضاء عليها ، وإختفاء حضارة المجموعة الأولى . وظلّ الوضع هادئًا بالمكان حتى بدء تأسيس شكل موحد لدولة سياسية فى النوبة وما قد ترتب على ذلك من تهديد لمصالح مصر الاقتصادية بالمكان وعبره ، ودور مصر فى تقويض دعائم هذا الكيان السياسى أو التعامل معه ، وتفاوت موقف مصر بين قدوم حاكمها المطلق بذاته إلى حدود مصر الجنوبية لمقابلة القائمين على شئون السلطة النوبية آنذاك ، وبين ما تلى ذلك مباشرة من إعلان الخضوع السياسى التام لسلطة مصر ممثلة فى قدوم حكام المكان النوبيين وفقًا لنصوص « ببى نخت » مرة ثانية إلى البلاط الملكى لإعلان الولاء التام . وهكذا تراوحت حركة الضغوط البشرية بالمكان على حدود مصر الجنوبية بين مد وجزر ، سلمًا وحربًا خلال العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث بصفة أساسية .

ولعل أهم ما يواجه الباحث فى تاريخ العلاقات المصرية الليبية وتتبّع الهجرات أو التحرّكات البشرية على حدود مصر الفرعونية هو قلة المصادر من جهة ، وكون ما هو متوافر عنها عبارة عن مناظر عامة لاتصحبها نصوص خلال ما قبل الأسرات لعل أشهرها مقبض سكين جبل العرقى (حاليًا فى متاحف اللوفر) ، ولوحة الصيد « صلاّية الأسود » ، ولوحة التحنو التى ربما تنسب إلى الملك العقرب [2] .

ويرجّح أن رسوم الرجال على مقبض سكين جبل العرقى وتسريحة شعرهم تماثل فى أوصافها العامة الملامح البشرية الليبية . إضافةً إلى ذلك فإن لوحة صيد الأسود

(١) إمرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ ؛ السيد (على أحمد) ، « تاريخ وجغرافية بعض بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية القديمة فى عهد المملكتين القديمة والمتوسطة » **مجلة الدراسات السودانية** ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، الخرطوم ، العدد ١ - ٢ ، المجلد التاسع (ديسمبر ١٩٨٩) ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) جاد الله (فوزى فهيم) ، « مسائل فى مصادر التاريخ الليبى قبل هيرودوت » ، **ليبيا فى التاريخ**، المؤتمر التاريخى ، الجامعة الليبية ، كلية الآداب ١٦ - ٢٣ مارس ١٩٨٦ ، ص ٥١ - ٥٢ ؛ بازامة ، **المرجع السابق** ، ص ٢٢ - ٢٣ ؛ ص ٥٩ - ٦٠ .

تتضمن مناظرها أناس يحملون الريش فى شعورهم ويرتدون كيس العورة ، ولهم ذيول تتدلى من قمصانهم القصيرة تتشابه فى ملامحها مع تلك الخاصة بالزعماء الليبيّين ضمن مناظر معبد ساحورع من الأسرة الخامسة الفرعونية . وتتضمن مناظر لوحة التحنو أربعة صفوف اشتمل الثلاث الأولى على أشكال لثيران وحمير وأغنام ، بينما فى وسط الصف الرابع المكوّن أشجار الزيتون - وفقًا لتفسير نيوبرى - تبدو العلامة التصويرية الدالة على أقدم الأسماء فى النصوص المصرية إلى جيرانها الغربيين باسم «التحنو» [1] . وقد رجّح كذلك نشاط عسكرى للملك « حورعحا » ضد الليبيين خلال العصر العتيق (بداية الأسرات) [2] .

وخلال العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث (EB III) ، نعلم من المصادر النصية المصرية (حجر بالرمو) عن قيام الملك « سنفرو » بنشاط عسكرى له ضد جيرانه الغربيين (ليبيا) عاد من هناك بأحد عشر ألفًا من الأسرى ومائة وواحد وثلاثون ألف راس من الماشية [3] . وبالمثل ضمن مناظر معبد ساحورع من الأسرة الخامسة التى تعكس تمكنه من إلحاق هزيمة قاسية بتلك القبائل الليبية إلى الغرب من مصر التى قدمت بنسائها وحيواناتها بغرض الاستقرار بالدلتا [4] ، مما كان له دور سلبى فى القضاء على البنية الأساسية لتلك المجموعات البشرية على حدود مصر الغربية ، ومبررًا لنا لفهم تلك الحالة من الهدوء النسبى على حدود مصر منذ تلك الفترة وإلى حين ، ودافعًا لتلك المجموعات البشرية المتبقيّة بالمكان إلى النزوح - على وجه الاحتمال - ربما باتجاه الجنوب استنادًا إلى ما يمكن استنباطه من نصوص « حرخوف » أثناء رحلاته الكشفية ، ودوره الذى أشار إليه فى عقد صلح بينهم وبين النوبيين ربما بغرض تأمين مصالح مصر الاقتصادية ، وعدم تهديد خطوطها التجارية إلى أفريقيا آنذاك .

---

(١) جاد الله ، **المرجع السابق** ، ص ٥٢ ؛ البرغوتى (عبد اللطيف) ، **التاريخ الليبى القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامى** ، منشورات الجامعة الليبية ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٠٣ .

(٢) فخرى ، **المرجع السابق** ، ص ٧٨ .

(٣) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٩١ ؛ مهران (محمد بيومى) ، **تاريخ مصر الفرعونية والشرق الأدنى القديم** ، القاهرة : ١٩٨٤ / ١٩٨٥ ، ص ٥٠ .

(٤) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ١١٧ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ٥١ .

ويبدو لنا أن تلك التحرّكات البشرية الضاغطة على حدود مصر الغربية من قبل القاطنين الليبيين بها : « التحنو » كان بغرض إقتصادى بحت بحثًا عن أماكن إقامة ومراعى صالحة لحيواناتهم على حواف دلتا نهر النيل الغربية مما كان دافعًا لنشاط مصرى تأديبى لتأمين حدود مصر الغربية ، وإن لم يمنع ذلك من استخدام مصر لبعض الليبيين فى جيشها بقيادة « ونى » من الأسرة السادسة ضمن مجموعات أجنبية أخرى للمشاركة فى نشاط مصر العسكرى ضد الآسيويين ، على حدودها الشمالية الشرقية فى مناطق جنوب وساحل فلسطين [١] .

وبرغم تعدد الإشارات فى النصوص المصرية إلى إتصالات لها مع جيرانها الآسيويين ؛ وغلبة الطابع الاقتصادى مثلما حفظته لنا نصوص سنفرو (حجر بالرمو) عن إرساله لأسطول من أربعين سفينة لإحضار أخشاب الأرز [٢] ومناظر عودة ناجحة لبعثة تجارية (أو حملة عسكرية ؟) من عهد « ساحورع » من الساحل السورى كان بين أفرادها مجموعة من الآسيويين وأميره آسيوية ، ربما لتزف إلى حاكم مصر كنموذج لما أصبح مألوفًا من بعد باسم « الزواج الدبلوماسى » لتدعيم علاقات المودة[٣] ، وما دعمّته الدلائل الأثرية بصفة خاصة فى موقع جبيل الحالى عن وجود جالية مصرية مقيمة بالمكان وعن بقايا معمارية لمعبد مصرى بالمكان ربما يعود فى بدء إنشائه إلى الأسرة الثانية إعتمادًا على ما أوضحه هينيسى Hennessy [٤] ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض الإشارات الدالة على وجود حصون مصرية على حدودها الشمالية الشرقية فى ارتباط مع اسم الملك سنفرو من الأسرة الرابعة « ساق حورنب ماعت » ظل يتردد صدى لها إلى عصر الدولة الوسطى[٥] ، وفى وجود إشارات دالة على نشاط عسكرى مصرى

(١) Lichtheim, M. **Ancient Literature**. Vol. 1 : **The Old and Middle Kingdoms**, University of California Press : 1973, PP. 18 - 23 .

(٢) فخرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٠ .

(٣) فخرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٨ ؛ ص ١٢٣ ؛ توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ١١٧ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ٤٦ .

(٤) Hennessy, J.B. **The Foreign Relations of Palestine during the Early Bronze Age**, London : 1967 ; مهران ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٥) صالح (عبد العزيز) ، **الشرق الأدنى القديم** ، الجزء الأول : **مصر والعراق** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة : ١٩٦٧ ، ص ١٠٣ ؛ سليم (أحمد أمين) ، **دراسات فى** =

ضد سكان المكان خاصة ما حفظته لنا نصوص « ونى » ضد « العامو حريوشع » وما رجحته من وجود بوادر ضغط لتحركات بشرية آسيوية (ربما عناصر آمورية) باتجاه الحدود المصرية من أواخر الأسرة الخامسة وأوائل الأسرة السادسة استدعت شن خمس حملات ضدهم أُستخدم فى إحداها الأسطول المصرى لنقل القوات والمؤن إلى أرض المعركة على ساحل فلسطين عند « أنف الرئم » ليس بعيد عن حيفا وجبال الكرمل حاليًا[١] وتزامن معها تدمير وتخريب للمواقع بالمكان عكسته البقايا الأثرية هناك [٢] .

كما دعمّ ذلك التصادم العسكرى ما حفظته لنا مناظر مقبرة « انتى » فى دشاشة من عهد ساحورع أو من أوائل الأسرة السادسة عن أطوار لمعركة بين المصريين وسكان حصن آسيوى يدعى « نديا » ومناظر لرماة السهام المصريين ، ومناظر القتال بين المصريين المسلحين بفئوس القتال والساتت (الآسيويين) المسلحين بالهراوات . ويبدو بالمثل منظر لأحد الآسيويين يقوم بكسر قوسه دلالة على الاستسلام بينما يتابع الزعيم الآسيوى وهو يشد شعره تمكن المصريون من ثقب جدران الحصن ، وأخيراً صورة للأسرى الآسيويين مقيدين بالحبل ويقودهم أحد الجنود المصريين[٣] . وأضافت لنا مناظر مقبرة « كا - م -

---

تاريخ مصر والعراق منذ أقدم العصور وحتى مجئ الأسكندر الأكبر ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية : ١٩٩٤، ص ٥٩ .

(١) صالح (عبد العزيز) ، **حضارة مصر القديمة وآثارها** ، الجزء الأول ، القاهرة : ١٩٦٢ ، ص ٣٨٦ ؛ ويلسون (جون) ، **الحضارة المصرية** ، ترجمة د. أحمد فخرى ، القاهرة : ١٩٥٦، ص ١٨١ ؛ فالبيل (ب) ، **الناس والحياة فى مصر القديمة** ، ترجمة ماهر جويجانى ، ومراجعة د. زكية طبوزادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة : ١٩٨٩ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) شاهين (علاء الدين) ، « مدخل إلى آثار المملكة الأردنية وحتى نهاية العصر الحديدى الثانى » **مجلة التاريخ والمستقبل** ، كلية الآداب - جامعة المنيا ، المجلد الأول ، العدد الثانى (١٩٩١) ، ص ١٦؛ ص ١٦ ؛ Rast, W.E. " Bronze Age Cities along the Dea Sea ", **Archaeogy** 40,1 (1987), P. 47.

(٣) Petrie, W.F. **Deshasheh (The Tomb of Ante)** EEF, London : 1898, PP. 5 - 7; p 1.4; شاهين (علاء الدين) « الرمزية التاريخية للأقواس التسعة فى المصادر المصرية وحتى نهاية الدولة الحديثة » **المؤرخ المصرى** ، دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد الثامن (يناير ١٩٩٢) ، ص ٥٢ .

حست » فى سقارة من الأسرة الخامسة (؟) أو الأسرة السادسة محاولة إستيلاء الجنود المصريين على إحدى المدن الكنعانية (فلسطين) المحصنّة ، ومحاولة تسلّق أسوارها [١] .

وعلى هذا نلاحظ إختلاف وتنوع تلك التحركات البشرية على الحدود المصرية ، واختلاف دوافعها : أمنية أو اقتصادية خلال مرحلة العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث . (انظر خريطة رقم ٣) . وحفظت لنا المصادر النصيّة المصرية بالمثل إتصالات ذات صبغة إقتصادية سلمية بحتة مع بلاد بونت إلى الجنوب ، وعن استخدام مصر للطريق الملاحى عبر البحر الأحمر للوصول إليها . كما يلاحظ إنعدام الإشارات إلى ضغوط أو تحركات أو إتصالات ذى صبغة إقتصادية أو بدوافع عسكرية أمنية ضد مناطق شبه الجزيرة العربية خلال العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث[٢] .

ولقد تغيرت الظروف السياسية السائدة خلال فترة الانتقال الأول بما صاحبها من إنهيار للسلطة المركزية ، ومن تسلل لمجموعات بشرية آسيوية إلى داخل الدلتا عاثت فيها فسادًا ، مع تمكن « منتو حتب » من إعادة كامل السيطرة السياسية على شطرى وادى النيل ، وإعلان نفسه حاكمًا على مصر الموحدّة ، وإعادة تأمين خطوط التجارة الدولية القديمة ، وعودة النشاط التعدينى ، ومحاولة إعادة بسطة النفوذ المصرى على الآسيويين والنوبيين وبدء دورة جديدة تعرف إصطلاحًا باسم عصر الدولة الوسطى المعاصرة تقريبًا للعصر البرونزى الوسيط فى دوريه الأول والثانى إستنادًا إلى ما عكسته نصوص أحد موظفيه المدعو « خيتى » فى مقبرته بالدير البحرى ، [٣] وضمن ما يفهم من مناظر مقصورته فى دندرة (حاليًا فى المتحف المصرى برقم ٤٦٠٦٨) [٤] ، وضمن بقايا

---

(١) Engelbach, R. **Ancient Egyptian Masonary**. Oxford : 1930 , p. 88; fig. 83.

(٢) Kees H., **Ancient Egypt : A Cultural Topography**, Chicago : 1961. P. 111; سيد (عبد المنعم عبد الحليم) ، « البخور عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة » ، **البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة** ، مجموعة بحوث نشرت فى الدوريات العربية والأوربية ، الاسكندرية : يناير ١٩٩٣ ، ص ٥٧٣ - ٥٧٤ .

(٣) Gardiner, A. " The Tomb of a much travelled Theban Officials," **JEA** 4 (1971), PP. 35 - 36.

(٤) Daressy, M.G. " Chapelle de Mentuholep III at Denderah," **ASAE** 20 (1917), P. 19.

مناظر معبده الجنازى فى الدير البحرى [١] .

وباستقراء النشاطات المصرية فى إرتباط بما جاورها على حدودها من شعوب الشرق الأدنى القديم نجد إرتباطا وثيقًا فى العلاقات والتحركات الشعوبية المضادة للنفوذ المصرى على حدودها إلى الجنوب من قبل « كوش الخاسئة » استنادًا إلى ما حفظته المصادر النصيّة عن نشاط مصرى بالمكان خلال الأسرة الحادية عشر من قبل نب حبت رع منتوحتب وخلال الأسرة الثانية عشر بصفة رئيسية .

وعكست نقوش أبيسكو الصخرية للمدعو « توحمانو » مرافقته لمليكه إلى بوهن لقتل « بدوجاتى الذين كانوا يمنعون قطع الأحجار » ، وبالمثل ما عكسته نصوص « مرى تيتى » المؤكدة لمصاحبته لسفن واوات (النوبة السفلى) فى إرتباط فيما يبدو بنشاط تجارى هناك [٢] .

كما دعمت نصوص بعض ملوك الأسرة الثانية عشر جهدًا لهم على حدود مصر الجنوبية خاصة « أمنمحات الأول » خاصة ما هو مدوّن فى منطقة كورسكو من عامه التاسع بهدف الاستغلال الاقتصادى للمكان ، وبسط النفوذ المصرى على النوبة السفلى لجعلها بمثابة منطقة عازلة (Buffer Zone) بين مصر وبين تلك المجموعات الشعوبية المعادية لمصر فى منطقة النوبة العليا والتى ظهرت لأول مرة منذ تلك الفترة التاريخية وحفظتها النصوص المصرية باسم « كوش » أو « كاش » التعسة[٣] .

وتابع « سنوسرت الأول » سياسة أبيه فى التوسع جنوبًا . وبدأت كلمة « كوش » ترد بكثره من عهده فى النصوص المصرية . وأكدّت نصوص لوحة من عهده عثر عليها فى بوهن مدى الدمار والتخريب الذى ألحقه سنوسرت الأول بالبنية التحتية بالمكان وأهله : « النار فى خيامهم ، حبوبها ألقيت فى النيل . . . » [٤] كما أشارت نصوص

(١) Naville, E. **The XIth Dynasty Temple at Deir el-Bahari**, Vol. I. London : 1907, PP. 668 - 69. pls. 14 - 15; Kees, **op. cit.**, P. 192

(٢) Hayes, W.C. "The Middle Kingdom in Egypt," **CAH** I, 2 Cambridge University Press : 1980, P. 487.

(٣) إمرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ .

(٤) إمرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ ؛ توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٢٠٨ ؛ بكر ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

أحد قواده المدعو « أمينى » ، حاكم إقليم الوعل (بنى حسن الحالية فى محافظة المنيا بوسط صعيد مصر) ، ما قام به مليكه من طرد أعدائه فى كوش الخسيئة[١] . وارتبط بمثل هذا الضغط البشرى الجديد المناوئ لمصر من جيرانها إلى الجنوب أن بدأ « سنوسرت الأول » تشييد مجموعة من الحصون بقيت لسنين قادمة السد المنيع . وحفظت لنا بردية عثر عليها إدوارد كويبل عام ١٨٩٦ م فى مقبرة أسفل معبد الرمسيوم قائمة بأسماء جغرافية تضمنت أسماء تلك الحصون بالمكان التى بلغ عددها سبعة عشر حصنا ، وتوزّعت ما بين أسوان وسمنة على نهر النيل [٢] .

وبالرغم من ذلك فإن خطر تلك المجموعات البشرية إلى الجنوب من مصر كان دافعًا لسنوسرت الثالث لشن حملتين عسكريتين هامتين فى عامه الثانى عشر والسادس عشر ممّا دفع بالحكم المصرى إلى جنوب سمنة . وأقام سنوسرت الثالث لوحة تخلّد ذكرى تلك الأعمال عرفت اصطلاحًا باسم « لوحة الحدود » . وتتضمن نصوصها صدى الخوف المصرى القائم من خطر تلك المجموعات البشرية الكوشية إلى الجنوب . وعكست قواعد صارمة أرساها سنوسرت الثالث للحد من تلك الأخطار والتحكم فى حركتهم : « لمنع أى زنجى (نوبى) من المرور شمالاً برًا أو بحرًا بقارب ، وكذا أى قطعان من ماشية النوبيين ما عدا أولئك الذين يأتون للتجارة فى إبكن (جنوب بوهن)، ولعمل مشروع يتفق عليه معهم سوف يقدم لهم كل شىء طيب ، على ألا يسمح لأية سفينة بأن تعبر «حح» (سمنة) شمالاً [٣] . وعكس نقش صخرى فى توشكا شرق ، صورة لسنوسرت الثالث هاويًا بمقمعته على نوبى تعس الحظ ، وقابضًا بالأخرى على شعر رأسه تخليدًا لسيطرته على المكان وأهله [٤] . ويبدو أن نتيجة تلك التصادمات

(١) إمرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) مهران ، المرجع السابق ، ص ٧٨ ؛ بوزنر (ج) وآخرون ، « الحصون » ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ، ترجمة أمين سلامة ومراجعة د. سيد توفيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٩٢ ، ص ١٠ ؛ إمرى ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٧ ، وأشكال ١٩ - ٢٦ .

(٣) توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ ؛ بكر ، **المرجع السابق** ، ص ٥١ ؛ إمرى ، المرجع السابق، ص ١٦٣ ؛ بوزنر وآخرون ، « الحدود » ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ، ترجمة أمين سلامة ومراجعة د. سيد توفيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٩٢ ، ص ٩٦ .

(٤) Simpson, W.K. "Nubia : The University Museum - Yale Expedition, " **Expedition** 4,2 (1962), P. 36; fig. on page 36.

العسكرية لمصر ضد التحركات البشرية على حدودها الجنوبية أتت ثمارها وتميزت الفترة الزمنية التالية من عهد أمنمحات الثالث وحتى نهاية الدولة الوسطى بالهدوء النسبى والسكينة .

ومن اللافت للنظر فيما يتعلق بحدود مصر الغربية هو ما ارتبط بها من تحركات لشعوب ليبية باتجاه مصر ، أو باندفاعات عسكرية مصرية ضد القاطنين بالمكان هناك وانعكس فى إتخاذ مصر سياسة نشطة لتأمين وجودها الأمنى عبر الواحات : الداخلة والخارجة على وجه الخصوص ، وفى تشييد سلسلة من الحصون على حدودها الغربية بدءًا من حواف الدلتا الغربية خلال عهد أمنمحات الأول ، شبيهة فى ذلك لما فعله من إنشاءات على حدود مصر الشرقية والتى عرفت باسم « حائط الأمير » أو « سور الوالى » ، كما فى واحة النطرون وربما الخارجة . وما زالت بقايا أحد تلك الحصون قائمة هناك فى وادى النطرون ، وكان بداخله معبد له بوابة جرانيتية حملت نقوشه اسم الملك [١] ، وربما كان ذلك تاليًا أو فى ارتباط بذلك النشاط العسكرى لابنه وولى عهده ، سنوسرت الأول ضد « التمحو » مثلما حفظته لنا نصوص « سنوهى » [٢] ، وما دعمّه ذلك من ظهور اللقب الإدارى « مراقب الصحراء الغربية » وتلقب كبار الموظفين به بدءًا من عهد سنوسرت الأول ، لتدعيم إحكام مصر على حدودها الغربية ومراقبة أى تحركات بشرية من قبل جيرانها الغربيين [٣] .

وقد عكست الدلائل الأثرية المكتشفة من قبل بعثة متحف جامعة بنسلفانيا الأمريكية - وكنت أحد المشاركين بها - عام ١٩٨٧ م فى موقع جزيرة باطه ، فى جون مرسى مطروح ، عن وجود تحركات وإتصالات بشرية قادمة من حوض البحر المتوسط (جزيرتى كريت وقبرص) بغرض إقتصادى مع القاطنين بالمنطقة ما بين برقة ومرسى

(١) فخرى ، **المرجع السابق** ، ص ٢١٣ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ٧٧ .

(٢) حسن (سليم) ، **الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة** ، الجزء الأول: **فى القصص والحكم والتأملات والرسائل** مطبوعات كتاب اليوم ، القاهرة : ١٩٩٠ ، ص ٤١ - ٥٦؛ شاهين (علاء الدين) ، « أحداث تاريخية فى الأدب المصرى القديم » **مجلة المؤرخ العربى**، إتحاد المؤرخون العرب بالقاهرة ، العدد الخامس ، المجلد الأول (مارس ١٩٩٧) ، ص ١٧ - ١٩ .

(٣) مهران ، المرجع السابق ، ص ٧٧ ; Ward, W. A. Indexy Egyptian Administrative and re- ligions titles of the middle kingdom, Beirut 1982;

والمشرف (المنظم لشئون على لوحات) w^{c}rtw wh3t - 697 no ؛

(المشرف على الصحراء) w^{c}rtwn smyt' no. 700

مطروح ، ودعّم ذلك ما عثر عليه بالمكان من شردات لفخار قبرصى ومينوى الطابع [١].

وعلى النقيض من ذلك ، فإن لمحة سريعة على المصادر النصية المصرية المتعلقة بجهود ملوكها فى الشمال الشرقى الآسيوى من خلال العصر البرونزى الوسيط فى دوريه الأول والثانى (MBI - II) ، لاتعكس أى نشاطات لضغوط بشرية على حدود مصر الشمالية الشرقية إضطر معها ملوكها إلى شنّ حملات تأديبية ، بل على العكس فإن نصوص بعثات التعدين المصرية فى سيناء عكست تواجدًا بشريًا سلميًا لبعض المجموعات البشرية من أصول آسيوية « الرتنو » شاركت أعضاء بعثات التعدين المصرية فى أعمال البحث عن النحاس (بيا) والفيروز « مفكات » فى وادى مغارة وسرابيط الخادم بصفة رئيسية . وكان من بين أشهر هؤلاء « خبددم » أخو حاكم رتنو الذى حفظت له المناظر بالمكان صورة له يمتطى ظهر حمار يقوده صبى ، ومتبوع بآخر من الخلف [٢] ، وما عكسته مناظر وصول مجموعة آسيوية من ٣٧ عام وبرئاسة « إبشا » - من موقع جغرافى أوردته النصوص المصرية باسم « شوت » ورجح د. عبد العزيز صالح تطابقًا له مع « مؤاب » فى مكان بين شمال غرب الجزيرة العربية وحدود فلسطين[٣] - خلال عهد سنوسرت الثانى إلى إقليم الوعل (بنى حسن ، محافظة المنيا) ، المحفوظة على مقبرة « خنوم الثالث » بالمكان . إما بغرض التبادل التجارى ، أو بغرض الاستقرار والإقامة فى مصر [٤] . (انظر شكل ٢) . وبالمثل ضمن ما يمكن

(١) كنت أحد المشاركين فى أعمال بعثة متحف جامعة بنسلفانيا برئاسة د. دونالد وايت عام ١٩٨٧ . وقد تم نشر تقرير مبدئى عنها فى حولية ، ونشرة مركز الأبحاث الأمريكى بالقاهرة: JARCE, NARCE، وما زالت هناك العديد من المواد الأثرية المكتشفة بالمكان تحت البحث والدراسة ، راجع على سبيل المثال : White, D. " 1987 Excavations on Bates' Island, Marsa Matruh : Second Preliminary Report," **JARCE** 26 (1989), PP. 87 - 114 .

(٢) شاهين (علاء الدين) شبه جزيرة سيناء : دراسة تاريخية وأثرية حتى نهاية الدولة الوسطى ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨١ ص ٢٢١ ؛ صورة ٢٧ ؛ Saleh, A. " Arabia and the Arabs in Ancient Egyptian Records, " **Journal of the Faculty of Archaeology**, Cairo University, Special Issue, Cairo : 1978, P. 74.

(٣) Saleh, Op. cit., p. 74.

(٤) توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢١٣ ؛ سليم ، المرجع السابق ، ص ١١٥ ؛ عبد اللطيف (سوزان عباس) ، **دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان منذ منتصف الألف الثانى** =

استنباطه من نـص « سنوهى » عن تواجد سلمى مكثف مصـرى فى شرق حوض البحر المتوسط Levant ، خاصة فى جبيل وأوجاريت (رأس الـشمرة) ، وعن إنتظام حركة التجارة بين مـوانئ مصر وموانئ الساحـل السورى ، وعن معرفة أهل المـكان الآسيويين بلغة (حرفيـا : لسان) مصر (R n Kmt) وبثقافـاتها ، مما يعكس لنـا بوضوح عدم وجود ضغوط بشرية وما كان يستدعى لذلك من تصدّى عسكرى لها من قبل مصر على حدودها الشمالية الشرقية آنذاك [١] .

ولم يمنع طـبيعة هذه العلاقـات السلمية لمصـر مع جيرانها الآسيـويين وعدم وجود دلائل لضغوط وتحركات بشرية آسيوية ضد حدودها الشمالية - الشرقية من وجود بعض الإشارات اليسيرة لنشاط عسكرى مصرى ضـد أهـــل المكـــان مثلما عكســـته نصوص « نسومنتو » من العام ٢٤ مـــن عهد أمنمحات الأول ، [٢] وفـــى نصـــوص الوزير « منتوحـتب » من عهد سنوسرت الأول ، وضـمن نصوص القائد « سـوبك خو » من عهد سنوسرت الثالث ضد منطـقة سكم (سكمم) فى فلسطين[٣] ، ومن أن تشـيّد مصر فى عهد أمنمحـات الأول خطا من الحصون على طول أطراف حدودها الـشرقية من دلتا نهر النيـل ربما كان أكثرها فى مدخل وادى الطـميلات الحالى لدرء التحركـات البشرية المحتملـة إلى داخل دلتا النـيل فيما عرف إصـطلاحًا باسم « حائط الأمـير » أو « سور الوالى » [٤] . ولقد دعم النـص الأدبى المعروف باسم « سنوهى » مـن وجود مثل خط

= **ق.م. وحتى منتصف الألف الأول ق.م.** رسالة دكتوراه مقدمه إلـى جامعة الاسكندرية : ١٩٨٧ ، ص ٦٥ ؛ Kemp, **Op. cit.**, P. 142 .

(١) Wilson, J. " The Story of Sinuhe ", **The Ancient Near East Texts**. Vol. I : **An Anthology of Texts and Picture**, Edited by J.B. Pritchard, Princeton University Press : 1975, PP. 5 - 16.

(٢) شاهين ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) شتيندورف (ج) و سيل (ك) ، **عندما حكمت مصر الشرق** ، ترجمة محمـد العزب موسى ومراجـعة د. محمود ماهر طه ، مـكتبة مدبولى بـالقاهرة : ١٩٩٠ ، ص ٣٣ ؛ شاهين ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ سليم ، **المرجع السابق** ، ص ١١٧ .

(٤) شاهين ، « أحداث تـاريخـية » ، ص ١٧ - ١٩ ؛ بوزنـر وآخرون « أمـنمـحات الأول » ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ترجمة أمين سلامة ، ومـراجعة د. سيد توفيق ، الهيئة المـصرية العامة للكتاب : ١٩٩٢ ، ص ٣٥ ؛ مهران ، المرجع الـسابق ، ص ٧٥ ؛ سـليم ، **المرجع السابق** ، ص ١١٠ .

التحصينات هذه حينما أشار إليه أثناء رحلة هروبه من مصر وتمكّنه من اجتياز إحدى نقاطه فى غفلة من الحراس أثناء المراقبة[١] ، وعند اضطراره أثناء رحلة العودة لأرض الوطن ، بعد العفو عنه ، إلى الانتظار عنده لحين وصول الأمر الملكى بالسماح له بالعبور (ربما من منطقة بالقرب من القنطرة الحالية) ، شبيهًا فى ذلك لما سوف نعرفه من حالات مماثلة من نصوص الدولة الحديثة [٢] .

ومع ضعف قبضة مصر السياسية داخليًا بدأت الدلائل تعكس إزدياد التسلّلات للمجموعات الاسيوية البشرية « العامو » إلى داخل مصر ، وازدياد العمالة الآسيوية ذاتها فى المنازل والمعابد المصرية مثلما عكستها لنا نصوص بردية بروكلين ١٤٤٦ . ٣٥ ، وكانت - بالإضافة إلى عوامل أخرى - من أسباب إنهيار الحضارة المصرية فى نهاية الدولة الوسطى ، وتمكن مجموعة بشرية فى مرحلة تالية عرفت باسم فترة الانتقال الثانى من التداخل إلى شرق دلتا وادى النيل ، بل وتأسيس دويلة مدينة (City-state) لهم تحمل ملامحها ملامح حضارات فلسطين خلال العصر البرونزى الوسيط فى دوره الثالث، تعرف إصطلاحًا باسم الهكسوس ، واتخذت من « حت وعرت » (أورايس) عاصمة سياسية لها ، ليست بعيدة عن مثلث الختاعنة - تل الضبعة - قنطير الحالية فى محافظة الشرقية [٣] .

ولم تعكس الدلائل الأثرية إلى الآن أو المادة النصيّة من مصر الفرعونية برهانًا على تحركات بشرية أو إتصالات لمصر مع منطقة شبه الجزيرة العربية خلال العصر البرونزى الوسيط برغم تلك الإشارات فى المصادر اللاهوتية فى إرتباط مع رحلة إبراهيم الخليل

---

(١) Aharoni, J. " **The Land of the Bible : A Historical Geography** - Revised and Enlarged Edition, The Westminister Press : 1979, P. 142.

(٢) Wilson, J. " The Report of a Frontier Official." **The Ancient Near East Texts**. vol. I : **An Anthology of Texts and Picturers**, Edited by J.B. Princeton University Press : 1975, PP. 183 - 184 .

(٣) Posner, G. " Les Asiatiques en Egypte," **Syria** 34 (1957), PP. 145 - 53; Wilson, J. " Asiatics in Egyptian Household Service", **The Ancient Near East, Vol. II : A New Anthology of Texts and Pictures**. Edited by J. B Pritchard, Princeton University Press : 1975, pp. 87 - 89 .

وهاجر وابنهما إسماعيل عليه السلام إلى المكان الذى أصبح من بعد يعرف باسم مكة، وتشييده للبيت العتيق بالمكان [١] .

وعلى هذا يمكن لنا القول بأن التحركات البشرية على حدود مصر الفرعونية خلال العصر البرونزى الوسيط فى دوريه الأول والثانى بصفة أساسية MBI - II انعكست بجانبها السلبى على حدود مصر الجنوبية نتيجة لضغوط تلك المجموعات البشرية النوبية التى أسمتها النصوص المصرية باسم « كوش الخاسئة » ، وما استلزم ذلك من تشييد سلسلة من الحصون بالمكان درءًا لأخطارها وتنظيمًا لحركة عبور أهلها وحيواناتها إلى مصر . ولعل ما لحق بمصر خلال فترة الانتقال الأول وما صاحبها من إنهيار سلطة مصر المركزية ، وتسلل العديد من الآسيويين إلى دلتا نهر النيل عاثوا فسادًا بالمكان وبأهله تردد صدى له فى المصادر الأدبية من تلك الفترة وخاصة نص « إيبو - ور » و « نصائح خيتى إلى ابنه مريكارع » [٢] يبرر لنا لماذا أقامت مصر تلك التحصينات التى عرفت باسم « سور الوالى » أو « جدار الحاكم » على حدودها الشمالية الشرقية تلافيًا فيما يبدو لأى اندفاعات بشرية أخرى مستقبلية من جيرانها الآسيويين . ومن اللافت للنظر أيضًا وجود دلائل أثرية مؤكدة ليس على ضغوط بشرية تستلزم إجراءات دفاعية ضدها ، ولكن من أجل الاتصال التجارى وتبادل المصالح لأول مرة على حدودها الشمالية (مرسى مطروح) وفى إتصال مع المراكز الحضارية فى قبرص وكريت بصفة خاصة آنذاك . (انظر خريطة ٤) .

وقد دعّمت المصادر المصرية النصية منها أو الأثرية خلال عصر الدولة الحديثة (١٥٦٧ - ١٠٨٥ ق.م.) / العصر البرونزى الحديث LB تغيرًا فى مفهوم علاقات مصر الخارجية مع جيرانها الأقربين خاصة محورى جنوب / شمال شرق كانعكاس بصفة أساسية لمحنة الوجود البشرى الأجنبى الممثل فى « الهكسوس » فى منطقة شرق

---

(١) Yadin, Y " Warefare in the Second Millennium B.C., " **The World History of the Jewish People**, Chapter 7, Israel : 1961, p. 130.

(٢) مهران (محمد بيومى) ، **مصر والشرق الأدنى القديم** (٧) : تاريخ العرب القديم ، الجزء الثانى ، الطبعة الحادية عشر ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية : ١٩٩٤ ، ص ٨٦ - ٨٩ .

(٣) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٠ ؛ ص ١٨٥ - ١٨٧ ؛ ص ١٩٣ - ١٩٤ ؛ شاهين ، **المرجع السابق** ، ص ١٢ - ١٥ .

الدلتا خلال فترة الانتقال الثانى مما استلزم شنّ حملات عسكرية مكثفة ضد النوبة وآسيا، بعد التحرير وطرد فلول هؤلاء الهكسوس خارج وادى النيل [١] ، تدعيمًا لمفهوم سياسة « السلام المسلح » ، وإنشاء مناطق آمنة حول حدود مصر درءًا لأى تحركات بشرية ومشابهة للمفهوم الاستراتيجى الحديث « كمناطق حزام أمنى » أو « مناطق عازلة » . وبلغ ذروة هذا الاتجاه الجديد لمفهوم السيادة المصرية بإنشاء نظام إدارى على المناطق الجديدة التى خضعت عسكريًا لمصر فى النوبة حتى الجندل الرابع (نباتا) ، والتى ضمّتها مصر فيما بعد إلى الأراضى المصرية ، وفى مناطق فلسطين (بما فيها المملكة الأردنية الحالية) ، ولبنان وجنوب سوريا فيما يعرف إصطلاحًا بحكومة المستعمرات أو « حكومة الخارج » ، ودعّمته بقوات مصرية مقيمة بالمكان داخل العديد من الحصون تستدعى حال الضرورة لمواجهة أى تحركات بشرية مناوئة أو تمرد على الوجود المصرى بالمكان خاصة من قبل مناطق شرق حوض البحر المتوسط Levant [٢] ، وبإنشاء سلسلة من الحصون ممتدة عبر سيناء (من عهد سيتى الأول) على طول ما يعرف باسم طريق حورس ، ما بين القنطرة شرق والعريش / غزة من جهة وعلى حدود مصر الغربية باتجاه ليبيا من جهة أخرى [٣] . كما عيّنت هيئة من الشرطة تطوف مع الكلاب خلال الصحراء مثلما عكستها نصوص أحد وزراء أمنحتب من أجل « مطاردة الأجانب وإرجاعهم على أعقابهم إلى بلادهم » ، وأن تلك القوات كانت تُحيط بنصفى المملكة (الدلتا والصعيد) لمراقبة تنقلات البدو الرحّل » ، وأنها فعلت نفس الشىء على ضفاف النيل ومصبّاته فى الدلتا بأن « قام الجنود بغلقها فى وجه كل واحد ما عدا رجال البحرية الملكية » [٤] . ودّعم ما عثر عليه من تقرير لأحد موظّفى الحدود المصرية للقادمين من الشمال الشرقى إلى مصر وجود مثل تلك النقاط المحصنّة والقائمين على

(١) شتيندورف وسيل ، **المرجع السابق** ، ص ٥٥ ؛ ص ٧٧ ؛ ص ٢٨ ؛ ص ٩١ .

(٢) Shaheen, **Historical Significance of Selected Scenes involving Western Asia and Nubian People** PP. 117 - 44.

(٣) فالبيل ، **المرجع السابق** ، ص ٣٩ ؛ ص ١٢٢ ؛ بكر ، **المرجع السابق** ، ص ٦٤ ؛ ص ٦٨ ؛ شتيندورف وسيل ، المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١٢١ ؛ شاهين (علاء الدين) ، « المسح الأثرى فى سيناء والحفائر خلال القرن العشرين : الهدف والمضمون » مجلة **إبداع** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، العدد الثالث (فبراير ١٩٩٥) ، ص ٣٨ - ٤٥ .

(٤) بوزنر وآخرون ، « الحدود » ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ، ص ٩٧ .

مراقبة القادمين عبرها [١] .

وتعددت المصادر النصية الدالة على نشاطات هؤلاء الملوك العسكرية فى آسيا والنوبة بلغت ذروتها فى عهد تحوتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م.) . وشهدت فترة الرعامسة فصلاً آخر من فصول التصادم العسكرى (بغرض أمنى) ضد التوسعات العسكرية لحضارة الحيثين (فى بلاد الأناضول) فى محاولاتها الحثيثة للتقدم جنوبًا فى سوريا بلغ ذروته فى معركة « قادش » الشهيرة خلال عهد « رمسيس الثانى » (١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق.م) [٢] .

ولم تعكس فترة العصر البرونزى الحديث دلائل على تحركات بشرية دافعة ضد الحدود المصرية بغرض الإقامة ، وبحثا عن موطن جديد إلا فيما نعرفه مصطلحا باسم « شعوب البحر ، وهم مجموعات بشرية نجمت عن انهيار الحضارة المينوية فى كريت بعد مهاجمة القبائل اليونانية لها وتدمير عاصمتها السياسية « كنوسوس » ، وما نجم عنه من بعد من ضغوط للشعوب القاطنة فى البلقان ورغبتها فى الهجرة[٣] وتدافع تلك المجموعات البشرية برًا عبر الأناضول ، ثم عبر شرق حوض البحر المتوسط ثم جنوب غرب باتجاه مصر ، أو محاولة القدوم مباشرة بسفنهم عبر البحر المتوسط مما استلزم معه تصادمًا عسكريًا للأسطول المصرى معها حفظته لنا المناظر المصورة على جدران معبد هابو الجنازى (معبد تخليد الذكرى) للملك رمسيس الثالث من الأسرة العشرين (١١٩٨ - ١١٦٦ ق.م) [٤] ، (انظر شكل ٣) أو بعد فترة إستقرار نسبى فى منطقة الجبل الأخضر / برقة ، ومن ثم فى تحالف مع السكان المحليين الذين عرّفتهم النصوص المصرية باسم ليبو (ريبو) والمشوش أن تقدموا شرقًا ضد الحدود المصرية . وقد وقع

---

(١) Wilson, **op. cit.**, pp. 183 - 184.

(٢) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ ؛ بكر ، **المرجع السابق** ، ص ٥٨ - ٦٤ ؛ مهران، **تاريخ مصر الفرعونية والشرق الأدنى القديم** ، ص ١٢٠ ؛ شتيندورف وسيل ، **المرجع السابق** ، ص ٢٤١ .

(٣) شتيندورف وسيل ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ ؛ ص ٢٤٢ .

(٤) توفيق (سيد) ، **تاريخ العمارة فى مصر القديمة . الأقصر** ، دار النهضة العربية ، القاهرة: ١٩٩٠ ، ص ٢٢١ ؛ Wilson, J.B. " The War against the People of the Sea, **Ancient Near East** Vol. I : **An Anthology of Texts and Pictures,** Edited by J. B. Pritchard . Princeton University Press : 1975, pp. 185 - 87 .

عبء مقاومة تلك التحركات البشرية المناوئة لمصر على حدودها الغربية بصفة رئيسية وأحيانًا من جهة حدودها الشمالية (البحرية) أو الشمالية الشرقية على كاهل ملوك عصر الرعامسة : سيتى الأول ، رمسيس الثانى ، مرنبتاح ورمسيس الثالث .

وقد دعمت الدلائل النصية والأثرية ما حاوله رمسيس الثانى فى مواجهة تلك التحركات البشرية لشعوب البحر القادمين بحرًا وعرّفتهم النصوص باسم « الشردانا » ، « الذين قدموا فى مراكب حربية من وسط البحر ، ولم يستطع أحد ردّهم » وأنه تمكن من صدّهم عند أحد مصبّات فروع النيل ، وإلحاقه لهم هزيمة قاسية [١] . وتعكس نصوص لوحة من عهده عثر عليها بالقرب من العلمين حيث شيدّ هناك قلعة ضمن سلسلة من القلاع نعلم عن وجود بقايا لها مثل حصن الغربانيات على مقربة من برج العرب وآخر هدم ، وثالث عند موقع أم الرخم الحالى على مبعدة ١٨ كم غربى مرسى مطروح لتأمين حدود مصر ، تصادم رمسيس الثانى العسكرى مع هذه الموجات البشرية القادمة من الغرب من الليبيين وشعوب البحر [٢] . ويبدو أن تلك السلسلة من المحطات والحصون على حدود مصر الغربية باتجاه ليبيا كانت على مسافة متقاربة تبلغ ٤٠ كم بين كل منها ، وفى أن تلك الإنشاءات الدفاعية تعود بصفة رئيسية إلى عهد رمسيس الثانى [٣] . وقد حفظت لنا النصوص المصرية أول وآخر محاولة لمصر الفرعونية لفرض نمط إدارى خاضع لسيطرتها على السكان المحليين فى منطقة برقة بتعيين أحد الولاه ليحكم باسمها وذلك من عهد رمسيس الثانى وإن لم يستمر ذلك لأكثر من عام بقليل .

كما حفظت لنا النصوص المصرية جهود « مرنبتاح » (١٢٣٦ - ١٢٢٣ ق.م) من عامه الخامس لصد الهجرات البشرية القادمة من الغرب بعد تحالفها مع أهل المكان من

---

(١) توفيق ، **معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية** ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ؛ بوزنر وآخرون ، « ليبيا » ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ، ص ٢٢٤ ؛ البرغوثى ، **المرجع السابق** ، ص ١١٢ .

(٢) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢٢ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٣ ؛ بوزنر وآخرون، «الحصون» ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ، ص ١٠١ .

(٣) Oren, E.D. " Ways of Horus in North Sinai," **Egypt, Israel, Sinai in the Biblical Period**, Edited A.F. Rainey, Tel Aviv University Press : 1987, pp. 69 - 119 .

المشوش والتـمحو بغرض الإقامة وبـحثًا عن موطن برئاسة « مـرى » رئيس قبيلة الـليبو ومعه أولاده وزوجاته الاثـنتا عشر ، وتمكن مرنـبتاح بعد ست ساعات فـقط من إلحاق هزيمة قاسية به ، ربما فى موقع قريب من مدينة بلبيس الحالية نجم عنها قتله حوالى ست آلاف وأسره لما يزيد عن تـسعة آلاف آخرين [١] . وقد جادل باحثـون آخرون أن مكان المعركة إما داخل الدلتا ذاتها أو على حـافة وادى النطرون ، وبين أن تكون فى مكان ما بين الضهريـة والنجيلية (مركـز كوم حمادة) [٢] . وأشارت نصوص اللـوحة المعروفة باسم « لوح إسرائيل » إلى مدى الخراب الذى حلّ بالتحنو (ليبيا) على يديه » [٣] .

وأخيرًا فـإن جهود « رمسـيس الثالـث » معروفة لمـواجهة خطـر تلك المجمـوعات البشرية (شعوب البحر) الراغبة فى مـواطنٍ قدم جديد داخل الأراضى المصرية والقادمة عبر البحر من الحدود الشـمالية والشرقية أو الغربية فى تحالف مع الليبيين أو عبر البحر وتمكنه من صدهم عند مـصبات نهر النيل [٤] . كما وقع عليه عبء مـواجهة التحركات البشرية لشعوب البـحر (الثكر والبلست خاصة) فى تحالفهم مع قبـائل المشوش الليبية خلال عامه الخامـس وتمكنّه من وقف زحفهم وطـردهم خارج بعض مدن الدلتـا الغربية الذين ألحقوا الخراب بـها ، وقضائه على ما يقرب من ١٣ ألف من بينهم [٥] ، وخلال عامه الحادى عشر بالمثل عندما ترأس جيشه لمواجـهة القادمين من ليبيا من شعوب البحر بالتحالف مـع المشوش وتمكنه بعد وصولهـم إلى الفرع الكانوبى لنهـر النيل من إلحاق الهزيمة بهم وقضائه على ٢١٧٥ فردًا من بينهم ، واسره لعدد ٢٠٥٢ ، واستيلائه على كل ما كان معهم من ماشية [٦] . ويبدو أن الانتصار كان ساحقًا لدرجة تخليد المصريين لذكراه وجـعله ضمـن أعيادهم « عيـد قتل المشـوش » وإطلاق صفات « مـتلف أرض

(١) سليم ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٧ ؛ توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢٧ ؛ السعدى (حسن)، المعالم الرئيسية لتاريخ مصر الفرعونية دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية : ١٩٩٥ ، ص ٣٤٠ .

(٢) مهران ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٤ .

(٣) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢٧ ؛ بوزنـر وآخرون ، « ليبيا » ، **معجم الحضارة المصرية القديمة** ، ص ٢٢٤ .

(٤) شتيندورف وسيل ، **المرجع السابق** ، ص ٢٤٣ .

(٥) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢٩ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ١٢١ .

(٦) توفيق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٣٠ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٥ .

التمحو » ، « قاتل المشوش » و « حامى مصر » على رمسيس الثالث [١] .

والملاحظ أنه وللمرة الأولى فى تاريخ مصر القديم تمثل لها الحدود الغربية موطن خطر فعلى ومختلف عما كان عليه الحال من قبل حينما كان على مصر مواجهة تحركات التمحو أو التحنو خلال العصر البرونزى المبكر إلى الوسيط . وتمثلت خطورة تلك التحركات فى اندماج أو تحالف تلك المجموعات البشرية بالمكان : برقة مع هؤلاء القادمين عبر البحر « شعوب البحر » ومهاجمتهم لمصر ، وتمكنهم من الدخول إلى الدلتا بها ، وإلحاق الخراب ببعض مدنها .

كما يلاحظ خلال العصر البرونزى الحديث أيضًا سكون الحركة على حدود مصر الجنوبية النوبية بعد تلك الجهود العسكرية الضخمة لأوائل ملوك عصر التحامسة ، وتمكن مصر تدريجيًا من بسط نفوذها الحضارى بالمكان ، وتمصيره ثم ضمه من بعد إلى الأراضى المصرية .

وأخيرًا فإن الجديد من المصادر المصرية هو الإشارة بوضوح إلى وصول وفد قدم من شبه الجزيرة العربية فى جزئها الجنوبى الغربى (اليمن) عرّفته النصوص المصرية باسم « الجنبتيو Gnbtyw » ، ربما أسلاف القبائل القتبانية[٢] « حاملين هداياهم من العنتيو (البخور) وأشياء أخرى » إلى حاكم مصر ، « تحوتمس الثالث » مما يعكس بدء عملية الاستيطان البشرى بالمكان ربما فى ارتباط بتدجين الجمل ونشأة العديد من الخطوط التجارية البرية عبر الجزيرة العربية وفى ارتباط مع المراكز الحضارية المجاورة فى الشرق الأدنى القديم ، وإن لم يمثل ذلك مركز ضغط بشرى مناوئ لمصر أو يستدعى جهدًا عسكريًا من قبلها (انظر خريطة ٥) .

إن الباحث فى التاريخ المصرى القديم يلاحظ اختلاف وتنوع التحركات البشرية عبر فترات زمنية متعددة واختلاف أغراضها الاقتصادية منها أو الأمنية ، وظهور أو إختفاء مناطق الضغط البشرى على حدود مصر الفرعونية خلال العصر البرونزى المبكر إلى نهاية العصر البرونزى الحديث .

---

(١) شتيندورف وسيل ، **المرجع السابق** ، ص ٢٤٣ ؛ مهران ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٥ .

(٢) Saleh, A. " The Gunbtyw of Thutmosis III's Annals and the South Arabian Geb(b)anitae of the Classical Writers," **BIFAO** 72 (1972), pp. 245 - 62 .

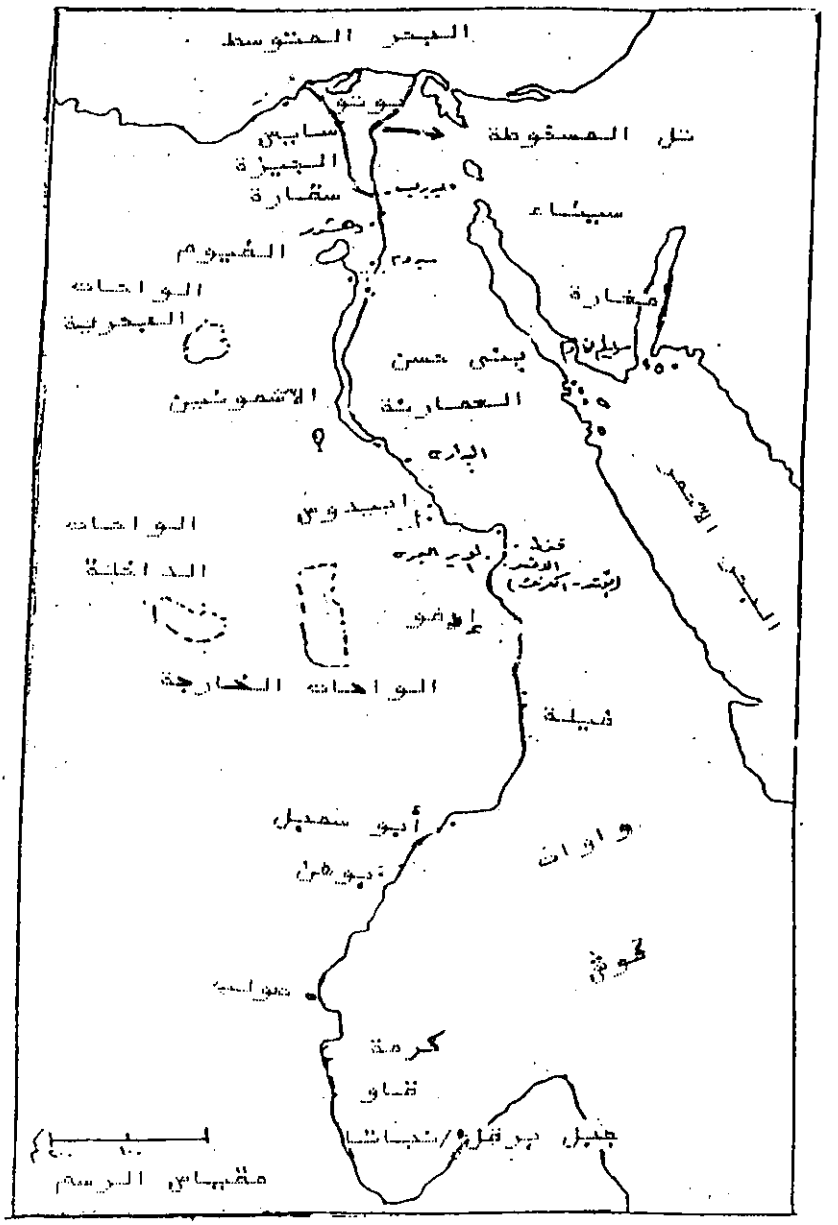

خريطة رقم (١)

أهم المواقع الأثرية فى مصر الفرعونية

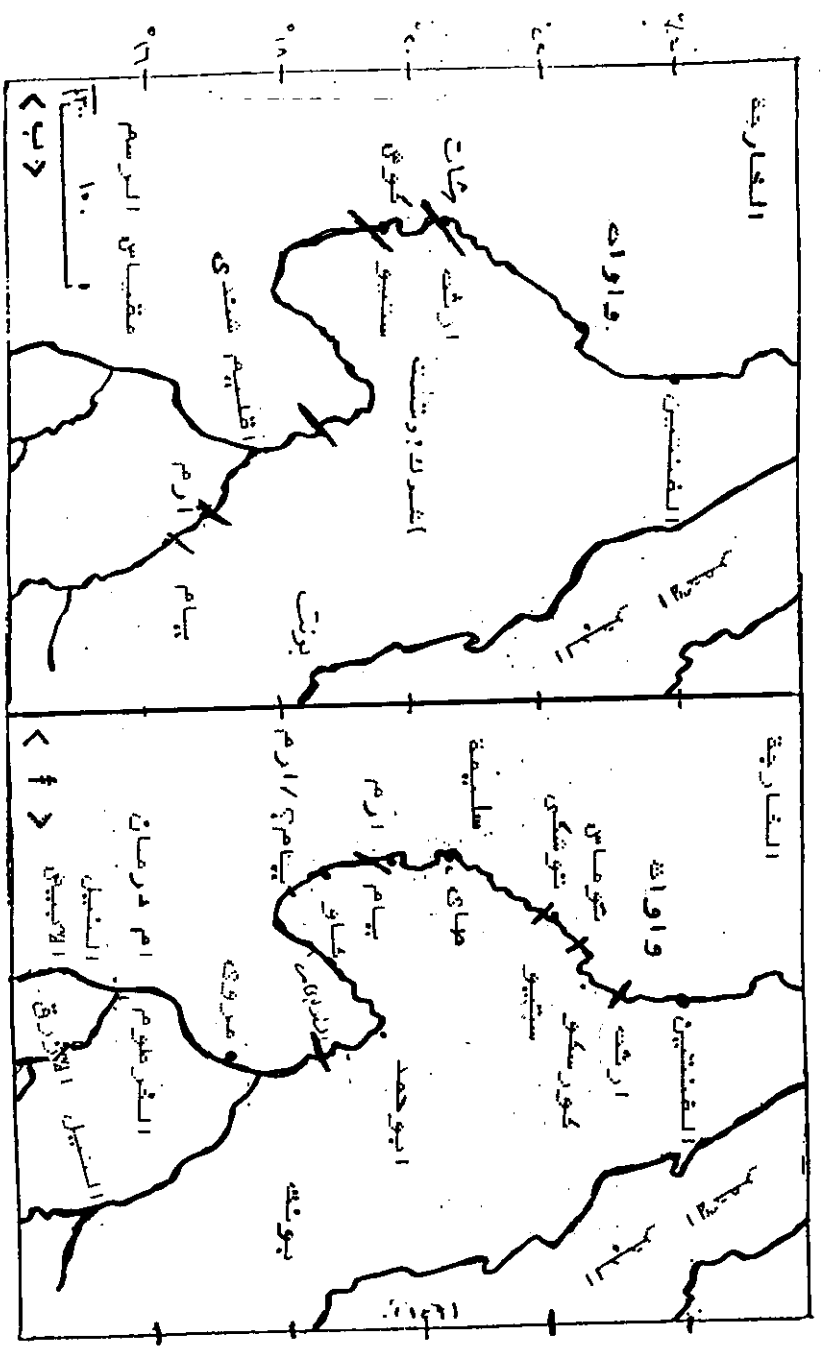

خريطة رقم (٢)

المواقع المحتملة لتقسيمات النوبة السياسية فى عصر الدولة القديمة / العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث

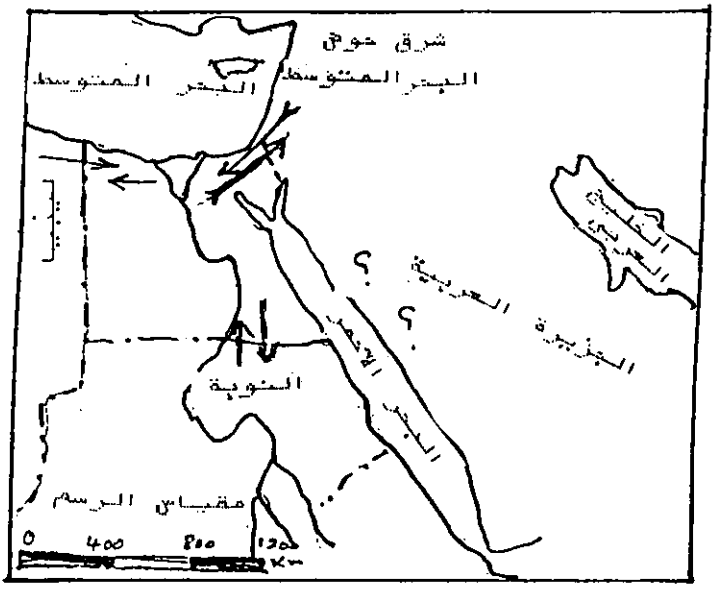

خريطة رقم (٣)
التحركات البشرية
علي الحـــدود
المصرية خلال عصر
الدولة القـديمة /
العصر البرونزى
المبكر فى دوره
الثـالث EBIII

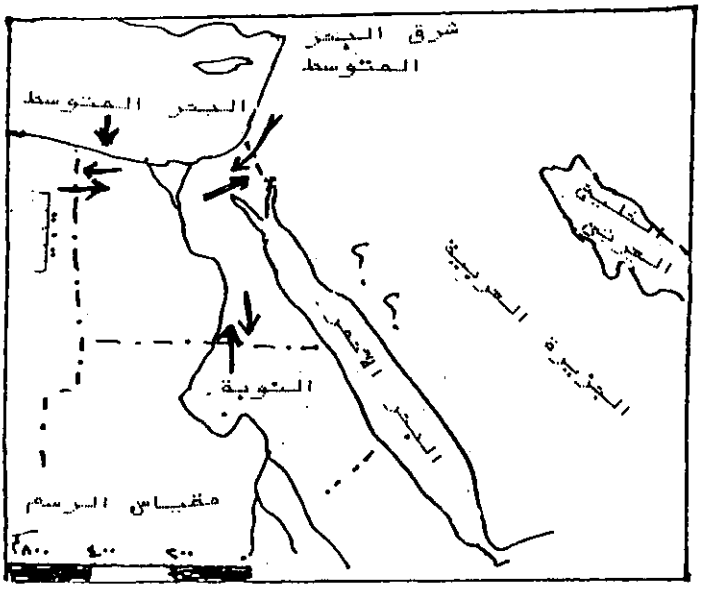

خريطة رقم (٤)
التحركات البشرية
علي الحـــدود
المصرية خلال عصر
الدولة الوسطى /
العصر البرونزى
الوسيط فى دوريه
الأول والثـــانى
MBI-II

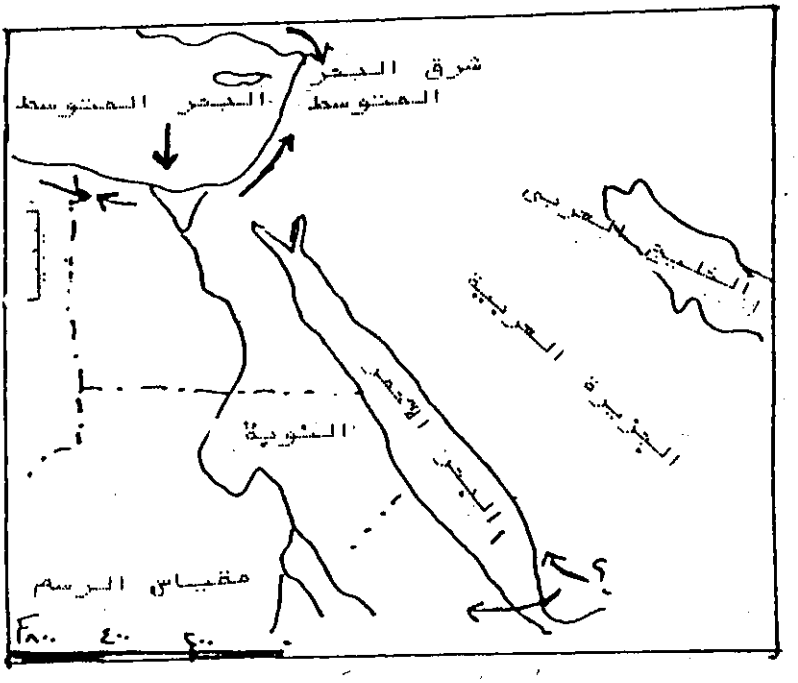

خريطة رقم (٥)

التحركات البشرية على الحدود المصرية خلال عصر الدولة الحديثة /
العصر البرونزى الحديث عصر الدولة الحديثة /
العصر البرونزى الحديث (LB) .

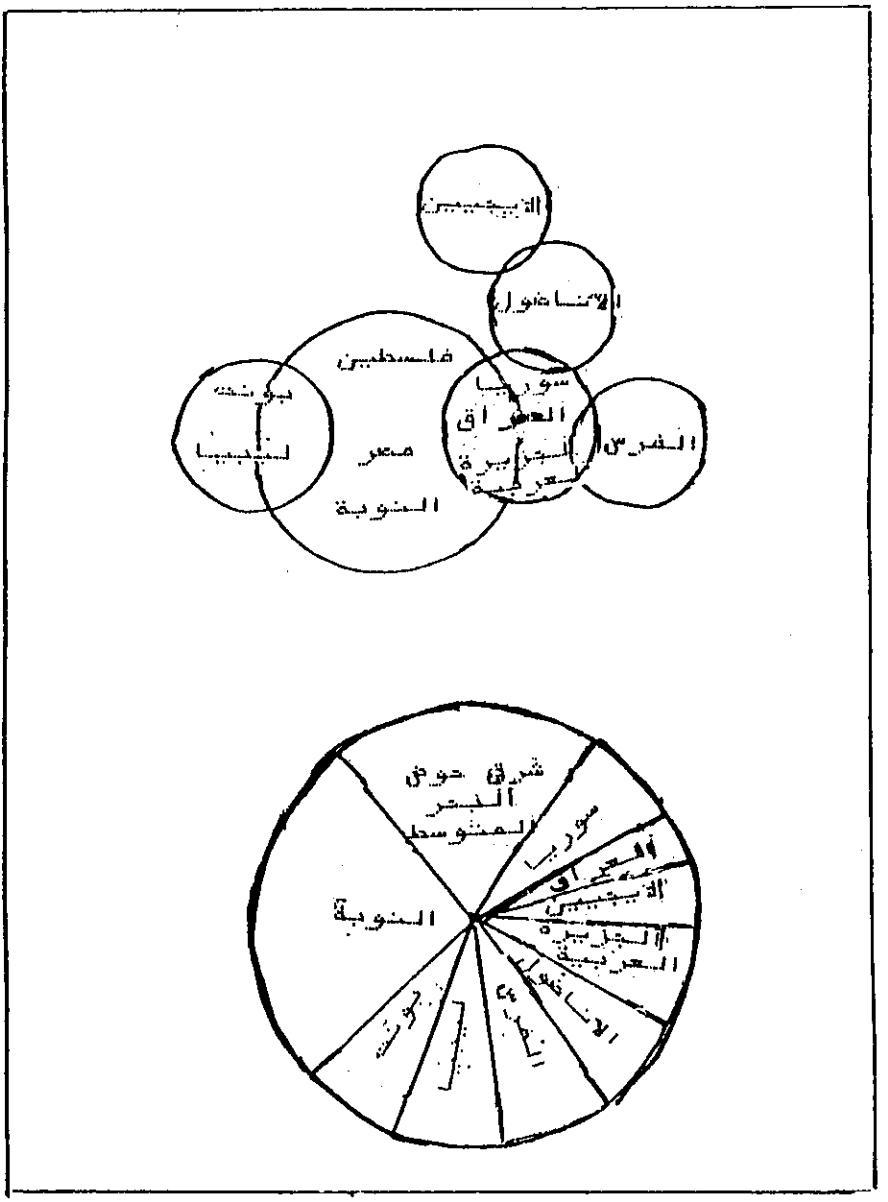

شكل (١)

علاقات مصر الخارجية فى العصر الفرعونى

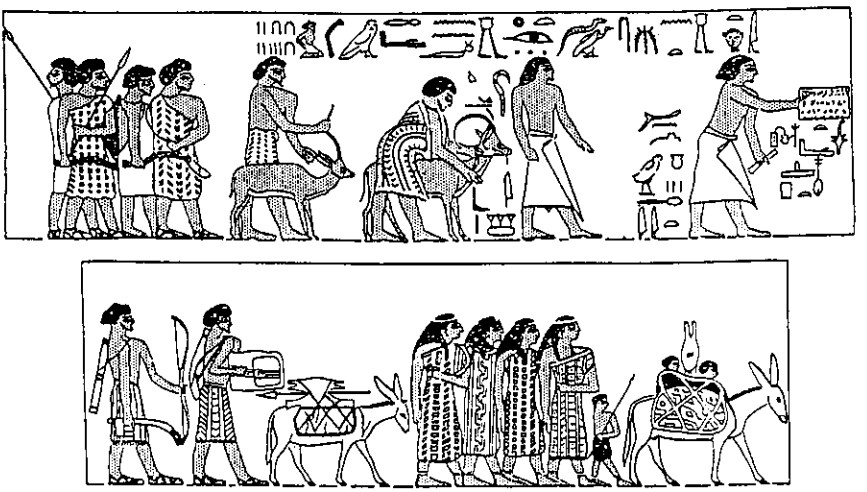

شكل (٢)

(مناظر وصول مجموعة آسيوية برئاسة ابشا إلى مصر)

(Albright, W.F. The Archaeology of Palestine; Peter Smith : 1971, PP. 207 - 208; fig. 61)

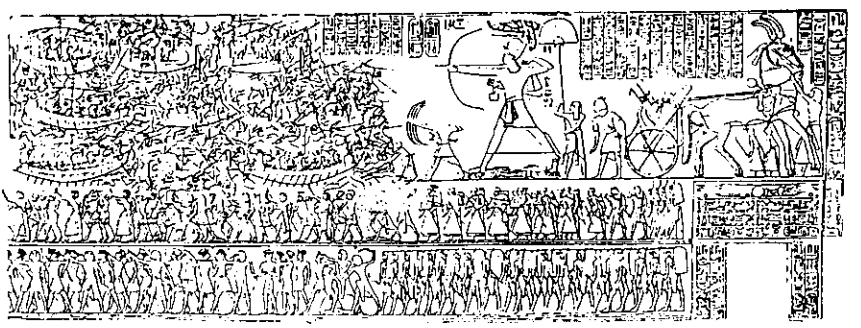

شكل (٣)

معركة بحرية لرمسيس الثالث (مدينة هابو)